

دور الدبلوماسية في سياسة الرسول ﷺ

محمد ضياء الحق

الحمد لله رب العالمين الذي أمر بالدعوة إلى سبيله بالحكمة
والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى والصلاة والسلام على سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ رسالة الله إلى الناس بالحكمة
وجاء بشيرا ونذيرا للعالمين.

وبعد فإن الإسلام دين عالمي يدعو إلى السلم الدولي إذ يقول
تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١) وليس من أهدافه أن يفرض نفسه
على الناس فرضا، فالدعوة إلى الإسلام لا تكون إلا بأسلوب
الحوار والتفاوض بالحجة والبرهان والرفق واللين، ولأجل هذا لم
يتخلف المسلمون عن الحوار والتفاوض مع الأقوام الأخرى عبر
القنوات الدبلوماسية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وكان
هذا الأسلوب هو المتبع في الدعوة إلى الإسلام في حياة الرسول
صلى الله عليه وسلم، ويمكن اعتبار المجهودات السلمية والنشاط

الدبلوماسية الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم من أهمّ بواعث قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

أهمية الموضوع:

ف نظرًا لأهمية الدبلوماسية في عصرنا الحاضر إذ أصبحت قوة الشعوب وأداتها الفعّالة في تحقيق الأمن والسلام للدولة والدفاع عن مصالحها واكتفائها الذاتي في كل الميادين، وكما اعتبرها المسلمون الوسيلة الأنجح لفضّ النزاعات والدفاع عن المصالح الوطنية والدولية فيجب علينا أن نعرف كيف كان استخدامها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وما هو دورها في سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن سياسته نموذج للمسلمين، واتباعها في عصرنا الحاضر ضمان النجاح للدول الإسلامية. وعلى هذا فسنباحول في هذا البحث أن نلقي الأضواء بالتفصيل على دور الدبلوماسية في سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم ونجاحاته في سياسته الداخلية والخارجية، وهكذا سنعرف الأساليب المثالية التي اتبعها في هذا المجال لكي نستفيد بها في مجال استخدام الدبلوماسية في عصرنا الحاضر.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذا البحث المنهج العلمي القائم على الاستقراء والاستقصاء والتحري الذي يهدف للوصول إلى نتائج قائمة على الدليل والحجة، وقمت بالاستدلال من القرآن والسنة وأقوال الصحابة في بيان استخدام الدبلوماسية في عصر الرسول صلى الله

عليه وسلم واتبعت في تحرير المعلومات التي أودعتها في هذا البحث منهج الاستفناء لمصادرها ما أمكن بغية الوصول إلى أكبر قدر من الصحة والدقة، وقمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث كما قمت بترجمة الأعلام المذكورين فيه باستثناء المشهورين.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفاهيم الدبلوماسية.

المبحث الثاني: جوانب الدبلوماسية في سيرة الرسول ﷺ.

المبحث الثالث: إنجازات دبلوماسية الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: البعثات الدبلوماسية في عصر الرسول ﷺ.

النتائج.

المبحث الأول: مفاهيم الدبلوماسية:

المطلب الأول: مفهوم الدبلوماسية:

١- أصل الدبلوماسية ومعناها:

كلمة "دبلوماسية" ذات أصل لغوي يوناني، فقد كانت تعني عند اليونان "الوثيقة الرسمية" وهي مشتقة أصلاً من كلمة يونانية قديمة نطقها ونكتبها (دبلون Diplon أو دبلوم Diplom) وهي كما نرى المقطع الأول من كلمة "دبلوماسية" Diplomacy^(١)، والسبب في اشتقاقها من اللغة اللاتينية هو أن كلمة "دبلوم" شاع استعمالها بين دويلات اليونان القديمة، وكانت تطلق على نوع من الوثائق الرسمية التي تصدر عن رئيس الدولة وترتب لمن تمنح له امتيازاً معيناً.

وقد اتسع استعمال لفظ دبلوما "Diploma" فيما بعد فأصبح استعمالها عاديا لكثير من الوثائق الرسمية الأخرى كالاتفاقيات مع القبائل والجماعات الأجنبية، وقد ظل يطلق على المهام المتصلة بهذه الوظائف حتى أواخر القرن السابع عشر حيث أصبح يطلق على الشؤون السياسية الخارجية، وقد استعملت هذه الكلمة في هذا المفهوم في سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٦م، فقصد بها شؤون العلاقات بين الدول لأول مرة في مؤتمر حيث اتهمت فرنسا بعدم الوضوح وبتخاذها مواقف مزدوجة. وكان التعبير الذي استخدمت لأجلها The Double Diplomacy ومن يومها شاعت هذه الكلمة، وقد قيّدت في السجل عام ١٢١٠هـ/١٧٨٧م في إنجلترا وجاء فيها الهيئة الدبلوماسية Diplomatic Body^(٢)، أما كلمة دبلوماسية في اللغة العربية فهي ترجمة حرفية لها^(٣).

٢- معنى الدبلوماسية اصطلاحاً:

وقد تعددت تعاريف الدبلوماسية، فلا يوجد تعريف محدد حول هذا الموضوع، فالبعض يستعملها في المعنى الواسع وبشكل عام كأن يقال: "هي فن توجيه العلاقات الدولية أو السياسية الخارجية للدولة"^(٤) وعند أرنست ساتو Ernest Satow (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م)^(٥): "إن الدبلوماسية هي استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة وأن تكون إدارة العلاقات بالطرق السلمية"^(٦).

وذهبت دائرة المعارف البريطانية The Encyclopedia of Britanica إلى "أن الدبلوماسية هي فن إدارة المفاوضات الدولية: Diplomacy is the art of Conducting International Negotiations"^(٧).

المطلب الثاني: مصطلحات الإسلام للدبلوماسية:

لم يستعمل العرب الأوائل بطبيعة الحال كلمة الدبلوماسية لمهام إدارة العلاقات الخارجية، بل أنهم استخدموا مصطلح السفارة لهذا الغرض، ولذلك يجب علينا معرفة مفهومه.

١ - مفهوم السفارة لغة:

السفارة مصدر لفعل "سفر"، ولهذا الفعل مفاهيم مختلفة منها قطع المرء مسافة بعيدة^(٨)، كما تطلق هذه الكلمة على الارتحال، فيقال "سفر الرجل أي خرج للارتحال"^(٩)، وقد قيل السفر بكسر السين وضم الفاء أي الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وقيل الكتاب الذي يبين الشيء ويوضحه، ويطلق على الجزء من التوراة وجمعها أسفار^(١٠) وقد استعملت في القرآن في هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(١١)، ومن هذه الكلمة "السفرة" ومعناها الوثيقة الخفية أو الوثيقة المكتوبة بها كما قيل: "السفرة كتبة الملائكة الذين يحصون الأعمال"^(١٢).

والسفارة من "سفر" وتطلق لغة على إيقاع الصلح بين القوم، يقال سفر بين القوم أي أصلح بينهم"^(١٣)، ومن السفارة السفير وهو الرسول والمصلح بين القوم، وقد كان العرب في جاهليتهم إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وأرادوا الصلح بعثوا سفيرا عنهم،

وكذلك الحال إذا أرادوا المنافرة أو المفاخرة، جعلوا من بينهم سفيرا إلى القبيلة الأخرى ليعلمهم بما استقرّ عليه الأمر وبما اشترط عليه من الشروط^(١٤)، وقد كان آخر سفير لقريش في الجاهلية عمر بن الخطاب، بعثوه سفيرا إن وقعت بينهم وبين غيرهم حرب، أو نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا ورضوا به^(١٥).

٢- مفهوم السفارة اصطلاحاً:

وبناء على ما تقدّم يمكن تعريف السفارة في الإسلام اصطلاحاً بأنها بعثة وليّ الأمر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة^(١٦).

ويطابق هذا التعريف للسفارة ما نجده في إرساله صلى الله عليه وسلم الرسل والسفراء، ويتأكد هذا المعنى أيضاً في سيرة الخلفاء الراشدين، وبما كان عليه الحال في خلافة الأمويين والعباسيين، وكذا ما جاء في أقوال الفقهاء المسلمين في مجال العلاقات الدولية، فقد جاء إطلاقهم للفظ السفارة مرتبطاً بهذا المعنى ودالاً عليه.

المطلب الثالث: المقارنة بين مفهومي السفارة والدبلوماسية:

إن السفارة كلمة عربية أصيلة، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهي من الكلمات المستوردة التي لم تدخل في اللغة العربية إلا حديثاً، لأنّ العرب في الجاهلية والإسلام لم يكونوا بحاجة إليها بالنظر إلى وجود لفظة عربية الأصل تعطي مدلولها وتغني عنها وهي "سفارة"^(١٧).

ورغم هذا الفرق نلاحظ وجود تقارب كبير في مفهومي اللفظتين حيث رأينا أن السفارة مصدر سفر، تستعمل في معنى الوثيقة الخفية^(١٨)، والدبلوماسية من دبلوم Diplome بمعنى الوثيقة التي كان السفير يحملها خلال السفر بين الدولتين في العصور الوسطى^(١٩)، وأيضا في المفاهيم الاصطلاحية نجد أن السفارة في أحد معانيها هي عملية صلح بين الناس وتوضيح الأمر بالحوار والكشف والتعبير عما يخالج الأنفس وتستبطنه القلوب من مطالب ومشاعر حتى يرضى الجميع ويتفقوا كأن يقال سفرت بين القوم سفارة أي كشفت ما في قلب هذا وقلب هذا لأصلح بينهم^(٢٠) والدبلوماسية معالجة العلاقات الدولية عن طريق التفاوض وتنظيم هذه العلاقات بوساطة السفراء^(٢١).

وهكذا نرى أن السفارة والدبلوماسية لفظان مترادفان أو يستعملان بمعنى واحد ويقال الدبلوماسية والدبلوماسي كما يقال السفارة والسفير، وقد يكون هذا سببا لاستعمال كلمة الدبلوماسية الإسلامية في التعبير عن مهمات السفارة في الإسلام. والدبلوماسية بمعنى الإجراء المنظم للعلاقات بين جماعة بشرية معينة وجماعة بشرية أخرى أجنبية عنها أقدم من التاريخ^(٢٢) وعمرها ليس أقل من عمر الشعوب^(٢٣).

وقد عرف العرب الدبلوماسية واستخدموها في تنظيم علاقاتهم فيما بينهم ومع غيرهم، فكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بوصفها وسيلة ليس ثمة

بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة، ولتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم، فضلا عن حاجتهم لكسب الدعم والنصرة في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل، أو لوقف هذه المعارك^(٢٤).

وقد كان فجر الإسلام نقطة تحول في تاريخ الدبلوماسية العربية، فقد طرأ تغيير جذري في مجال السفارات حيث أصبح أكثر رحابة وضبطا مما كان عليه في الجاهلية، فلم يعد محصورا في العلاقات التجارية المرتهنة بظروفها المتقلبة بل أصبحت منهجا ذا قواعد ونظم مضبوطة حددتها الدولة الإسلامية في تسيير علاقاتها مع غيرها من الدول وتفاصيل هذا فيما يلي.

المبحث الثاني: جوانب الدبلوماسية في سيرة الرسول ﷺ:

بعث الله سبحانه الأنبياء والرسل قبل الإسلام برسالات مخصوصة لأقوامهم ومحددة بفترة معينة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾^(٢٥)، ولما بلغ الفكر الإنساني مستوى معيناً من النضج والقدرة على التفكير السليم في مجالات العقيدة والإيمان والتوحيد واتضحت له الرؤية السليمة للكون والحياة ورسالته فيهما، كما بلغ حدّاً من الرقي العلمي مكّنه من وضع كثير من النظريات الفنية في مجال التعامل مع الكون والسيطرة عليه، هنا جاءت الرسالة الإسلامية خاتمة لجهاد الأنبياء وجامعة للتعاليم التي بشرّوا بها أقوامهم وعامة للناس، فلم تعد هناك حاجة إلى رسالة جديدة، وقد خاطب الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢٦)، وأمره بإبلاغ رسالته إلى كافة الناس حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢٧)، فالرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الناس، مسؤول عن تبليغ رسالة الله سبحانه إليهم بأساليب سليمة كما أمره الله، يقول تعالى: ﴿أذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢٨).

هكذا اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام من الدبلوماسية وسيلة لنشر الدعوة وسيلا أرقى للاتصال بالناس ومنهجاً في التعامل مع الشعوب والدول في الجزيرة العربية وخارجها.

المطلب الأول: المعلم الأول للدبلوماسية:

كان محمد صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين، فهو مؤسس نظام الدبلوماسية الإسلامية وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها، فقد اتممت في شخصيته الكريمة الأخلاق الفاضلة، فالصدق والمعرفة والحب والعزة والتواضع والفقہ والوفاء كل هذه كانت بعض صفاته البارزة التي قربته إلى قلوب الناس^(٢٩)، قال جبريل عليه السلام: "قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم"^(٣٠).

فقد شبَّ رسولُ صلي الله عليه وسلم في حفظ الله تعالى فكان يكلؤه ويحفظه ويحوطه من عادات الجاهلية، لما يعدّه لكرامته ورسالته حتى اشتهر بين الناس بكونه أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش وسوء الأخلاق التي تدنس الرجال حتى سمّي في قومه بالأمين لما جمع فيه من الأمور الصالحة^(٣١).

وظهرت الجوانب الدبلوماسية في شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم قبل بعثته، لما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، حين جددت قريش بناء الكعبة، فقد اختلفت قبائلها فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا على أن يحكم في هذا أول من يدخل من باب بني شيبه، فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أول داخل عليهم، فلما رأوه قالوا "هذا الأمين، رضينا، هذا محمداً"، ولو أراد محمد أن يستأثر بهذا الشرف لنفسه لكان ممكناً، ولكنه طلب ثوباً، وأخذ الحجر ووضع فيه يده ثم قال: (تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً)، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه^(٣٢).

ويعتبر أسلوب الدبلوماسية الذي اختاره محمد صلي الله عليه وسلم للتحكيم في هذه القضية مثالا نادرا في تاريخ الدبلوماسية^(٣٣).

المطلب الثاني: ممارسة الرسول ﷺ مهمته الدبلوماسية في مكة:

بدأ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته الدبلوماسية عندما كلف بالرسالة وقد كان في الأربعين من عمره^(٣٤)، استمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يدعو سرا إلى الإسلام كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسي لقبول الدعوة العالمية حتى نزل الأمر بالجهر بالدعوة، حين قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣٥).

وامتثالا لأوامر الله تعالى اتصل الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته ودعاهم إلى مائدة طعامه^(٣٦) ثم قال لهم: (ما أعلم إنسانا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر) فأعرضوا عنه وهموا بتركه لكن عليا قال: "أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه" فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم، وظلّ نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين^(٣٧).

بعد إبلاغ عشيرته الأقربين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة جميعا^(٣٨) قائلا: (أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟) قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال (فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب (ت ٢هـ/٦٢٤م): تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا^(٣٩).

إن المفاوض الناجح لا ييأس من النتائج الأولى بل يستمر في سعيه للوصول إلى الهدف^(٤٠) كذلك استمر الرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلا ونهارا، سرا وجهارا لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردّه عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عنه صادّ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم في المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من جرّ وعبد وضعيف وقويّ وغنيّ وفقير^(٤١) وذلك امتثالا لأوامر الله إذ قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤٢).

يتطلب العمل الدبلوماسي الشجاعة والاستعداد والتضحية بالمصالح بحيث يكون الدبلوماسي الناجح حريصا على حفظ رسالته حتى في أشدّ الأزمات، ملتزما الهدوء في تفكيره وتصرفاته، مطمئنا إلى النجاح^(٤٣) وهذا ما نجده في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لم يقبل ضغوط قريش عندما قال له عمّه أبو طالب (٣ق هـ/٦٢٠م): "يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني، فقالوا كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلي من الأمر ما لا أطيق"^(٤٤)، فظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، ولكنّ كان عزمه قويا وأهدافه واضحة فقال: (يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)^(٤٥).

إن الأخلاق السامية هي المظهر الأول لشجاعة الدبلوماسي ومروءته^(٤٦) فهي تؤدي دورا أساسيا في نجاح الدبلوماسي، وكذلك كان لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم دور أساسي في نشر دعوته، فقد كان برًا ورحيما، جمّ التواضع، كامل الرجولة، عذب الحديث، محبًا للعدل يعطي كل ذي حق حقه وينظر إلى الضعيف واليتيم وإلى البائس والمسكين نظرة الأبوة والحنان والعطف والمودة، فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من تجار مكة وأشرفها من عرفت نفوسهم الطهارة والنزاهة، كما آمن به كل ضعيف وكل بائس وانتشر الإسلام بمكة ودخل الناس فيه أفواجا رجالا ونساء^(٤٧).

وزادت قريش في الاضطهاد والظلم والتكيل بالمسلمين وأوعزت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سفهائها فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون^(٤٨)، لكن رغم هذه المشاكل ظلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهجه وقدم نموذجاً للدبلوماسيين حيث أن الدبلوماسي الناجح يبذل كل جهوده في أداء مهمته ولا يخاف من الظلم ويستمرّ للحصول على أهدافه^(٤٩). فشلت قريش في الاستفادة من أساليب الاضطهاد والقمع والظلم لثني الرسول وصحبه عن دعوتهم ودينهم ففكّرت في استعمال سياسة التسوية والتوفيق، فقامت بعرض أمور على النبي محمد عليه السلام لعلّه يقبل بها ويكف عنهم، قالوا له: "إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت

تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا لا نستطيع
ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئناك، فإنه
ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه" (٥٠). وقد ردّ عليهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة السجدة.

هكذا وجدت قريش أمامها رجلا لا مطمح له في مال ولا
تشریف ولا ملك ولا هو بالمريض وإنما يدعوا إلى الخير ويدفع
بالتي هي أحسن، الشيء الذي أثار غضبها فتعرض الرسول صلى الله
عليه وسلم وأصحابه لأنواع جديدة من الظلم والتنكيل فقد هجاء
الشعراء بأقبح مقال وتعرض لتهديدات متواصلة وقاموا برحم بيته بل
حاولوا اغتياله، فلم يزد كل هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه
إلا ثباتا وعزيمة واستقامة وصبرا (٥١).

المبحث الثالث: إنجازات دبلوماسية الرسول ﷺ:

رغم معارضة قريش وحصارها، واصل الرسول صلى الله عليه
وسلم مجهوداته في سبيل نشر رسالة الإسلام العالمية بين الناس،
فكان يعرض نفسه في موسم الحج على القبائل داعيا إلى الإسلام من
أقبل إلى مكة من سائر العرب، ومن هؤلاء جماعة من الأوس
والخزرج، قابلها الرسول صلى الله عليه وسلم في العقبة، وقد حصل
بينه وبينهم نوع من المفاوضات ودعاهم فيها إلى الإسلام وطلب
منهم أن ينصروه ويحموا هذا الدين ويدافعوا عنه، وقد نجحت
عروض الرسول وكتلت مفاوضاته بالقبول من طرف هؤلاء الرواد من
زعماء يثرب فأمنوا به وصدّقوا وعاهدوه على أن ينصروه ويدافعوا عنه

ما يدفعوا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم من الأذى، وقد كانوا أول الأمر لا يتجاوزون الإثني عشر رجلا بينهم امرأة واحدة^(٥٢).

وقد أوفد الرسول صلى الله عليه وسلم معهم حين عودتهم مصعب بن عمير (ت ٣هـ/٦٢٥م) مبينا وداعيا لهذا الدين الجديد وتعاليمه وقيمه، ناشرا الإسلام بين سكّان يثرب الذين أقبلوا على الدين الجديد بحب وقناعة وقد بذل مصعب بن عمير جهودا كبيرة في تهيئة المدينة لاستقبال الرسول وصحبه بعدما ضاقت بهم مكة، وفي السنة الثالثة عشر من البعثة خرج ثلاثة وسبعون شخصا من مسلمي المدينة قاصدين مكة حيث بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في العقبة البيعة الثانية، وقد قال لهم النبي عليه السلام حين المبايعه: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفّارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه)^(٥٣).

وقد كان عهدهم هذه المرّة صريحاً في نصرته وإيوائه مع جميع المسلمين إلى يثرب وقبولهم لأيّ تحد من قريش أو غيرها، وهو ما عبّروا عنه بحرب الأسود والأحمر، وقد سميت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية^(٥٤). كل هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يدافع بالتي هي أحسن دون أن يستلّ سيفاً أو يعلن حرباً ملتزماً الدعوة

السلمية، سالكا طريقه إلى القلوب مخاطبا عقول الناس، طريقه الحجة والاقناع بالحسنى ومسلكه الرفق بالناس رغم الإذابة الشديدة التي تعرض لها منذ إعلان دعوته للناس، وهكذا واصلت دبلوماسيته نجاحها محققة أهداف الدعوة إلى الله، فقد وجد المستقر الجديد للدعوة والملاذ الآمن للبناء على أساس القيم الجديدة ولتربية الرجال على الإسلام، وقد أصبحت يثرب منذئذ عاصمة الدولة الإسلامية. وفيما يلي سنستعرض الإنجازات التي حققتها دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في عاصمته الجديدة (المدينة):

المطلب الأول: تأسيس الدولة الإسلامية:

١- نشأة الدولة:

كان أول ثمار الدبلوماسية التي أرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وسلم إقرار الأمن والنظام في المدينة المنورة وتخفيف حدة التوتر والعنف المتصاعد بين الأوس والخزرج المتصارعين على التزعم والحكم والسيطرة السياسية على المدينة. بعد وصوله إلى المدينة^(٥٥) استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم نشر الإسلام بين سكان يثرب وقد لاقت دعوته قبولا وترحيبا تجلّى في كثرة المقبلين على الدين الجديد وأصبح عدد أتباعه أكثر في فترة قصيرة، كما عمل على تدعيم روح الإخاء بينهم ونزع أسباب الفرقة والتناحر التي كانت سائدة قبل دخول الإسلام، واستطاع إصلاح ذات بينهم وتوطيد السلم بين عشائهم وعقد التحالفات معهم وبهذا تأسست الدولة الجديدة في المدينة على يد النبي عليه السلام وتكاملت

أركانها، ووجد المسلمون إقليمًا يستقرون عليه كما تركّزت السلطة التي ستتولى تسيير شؤونهم.

كانت فترة ما قبل الهجرة تمهيد وإعداد المرحلة التالية في تطور الإسلام التي بدأت بعد الهجرة، ففي المرحلة الأولى تقررت قواعد الإسلام الأساسية بصفة عامة، وفي المرحلة التالية تم تكوين هذا المجتمع المنظم على قواعد سياسية تحت قيادة رئيس واحد^(٥٦)، وبدأ عمل هذه الدولة في المدينة متمثلاً في تنظيم الدفاع المحكم وتوفير الأمن للسكان وإعداد الإدارة لتنفيذ أسباب العدل بين الناس، ونشر العلم وجباية المال وعقد المعاهدات وإيفاد السفارات، وكان النبي صلى الله عليه وسلم المسؤول الأول والموجه لهذه الدولة كما كان في نفس الوقت مبعوثاً من قبل الله سبحانه برسالة الإسلام ومبشراً ونذيراً^(٥٧).

٢ - تنفيذ الدستور الجديد:

اهتمّ النبي صلى الله عليه وسلم خلال العام الأول للهجرة بإقرار الأمن والنظام في مدينة يثرب، فبعد كسبه ثقة الأوس والخزرج أصبح الحكم الذي يرجعون إليه في شؤونهم، وقد استطاع أن يزيل بالتدرج الأسباب الداعية إلى النزاع والخصام بينهما ونجح في نهاية المطاف في تهيئة الأرضية المشتركة التي يلتقون فيها مع المهاجرين، كما استطاع أن يعزل اليهود وأن يضعف تأثيرهم خصوصاً وأنهم لاحظوا التفاف القبائل حول قيادة محمد عليه السلام، فلم يكن لهم بديل غير دخولهم معه في نوع من العلاقات كبقية السكان^(٥٨) وهي

صيغة للتعايش السلمي الممكن. وهكذا اجتمع الأنصار والمهاجرون من جهة، واليهود من جهة أخرى على اتفاقية سميت بميثاق المدينة، وقد أصبح هذا الميثاق دستوراً جديداً للدولة الإسلامية في المدينة، ويعتبر أول دستور كتابي في تاريخ الدساتير^(٥٩).

المطلب الثاني: نتائج إيجابية في الحروب باستخدام الدبلوماسية:

إن تكوين الدولة الإسلامية وتأسيس مجتمع منظم على أساس ميثاق وعقد اجتماعي بعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والموادعة مع اليهود والاتفاق معهم على ميثاق المدينة وضمنان نوع من الاستقرار الكفيل ببدء مرحلة جديدة في البناء والفعل الإيجابي، كل هذا كان نتيجة الجهود الدبلوماسية للرسول صلى الله عليه وسلم.

هكذا بدأت الدولة الإسلامية حياتها الفعلية وأخذت تؤدي وظائفها، وقد حدثت هذه الإنجازات الهائلة ضمن منهج اتسم بطابعه السلمي ذي النفس الطويل، وقد مضى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا الهدف الهام دون أن يقع في أسلوب ردود الأفعال العنيف مضحياً بعدد من المصالح الطرفية، متحشماً صعوبات الطريق. وهذا النجاح الدبلوماسي إنما يرجع أيضاً إلى وضوح الهدف الأكبر وهو القيام بمهمة نشر الرسالة العالمية وذلك عبر مراحل ظرفية ومحددة وقد كان تأسيس الدولة في المدينة أول هذه المراحل الضرورية، كما أن هذه الدولة احتفظت بسمعة طيبة بين الناس لسلوكها السلمي في نشر أفكارها والتبشير بمبادئها، وقد امتثل الرسول في هذا

السلوك لأمر الله سبحانه بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة والجدال بالحسنى وهو ما مكّنه من الحصول على الأهداف الكبيرة والجليلة^(٦٠).

بيد أن قريشا لم تكن لترضى باستقرار هذه الدولة الفتية وأن تتركها تنمو طبيعيا وهذا يعارض مصالحها الحيوية، فلم تعترف أولا بها ككيان سياسي واقعي وموجود، فضلا عن اضطهادها السابق لدعاتها بدأت في التفكير الجدي في محاربتها وإقامة العراقيل أمامها وزرع الفتن داخلها، فكان لا بد من التصادم بينهما في وقت من الأوقات للحسم وقطع الأمر مهما يكن الثمن، وهنا سيضاف عنصر جديد في العلاقات الخارجية إلى السياسة الدبلوماسية النبوية، وهو عنصر القوة للدفاع عن الدولة وتأمين الدعوة الإسلامية وكسر شوكة قريش، إلا أنه في هذه الفترة كذلك كان للدبلوماسية المقام الأول حيث دخل الرسول صلى الله عليه وسلم في معاهدات دفاعية مع قبائل بني ضمرة ومدلج وغيرها تدعمه ويدعمها عند أي خطب وخطر^(٦١).

١- دبلوماسية الرسول ﷺ إثر غزوتي بدر وأحد:

يبدأ الصراع إذاً بين مكة والمدينة، وهو صراع لم تتعود عليه جزيرة العرب من قبل فهو ليس صراعا بين القبائل من أجل نفوذ أو مرعى بل هذا صراع من نوع جديد هو صراع عقائدي بين الشرك والتوحيد الذين لا يجتمعان في مكان واحد لذا لا بد من القضاء على أحدهما.

وقد كانت حيثيات قرار الرسول اعتراض سبيل قافلة قريش
الراجعة من الشام إلى مكة لأخذ ما فيها لصالح المسلمين الذين
سلبوا سابقا ممتلكاتهم وأراضيهم وأموالهم في مكة، السبب المباشر
في أول حرب تقع بين الطرفين، حيث قرّرت قريش بكاملها الخروج
لإنقاذ مالها وتجاريتها وهيبتها الخارجية، وقرّرت الحرب رغم إفلات
القافلة من أيدي المسلمين، وكان اللقاء في بدر، ورغم عدم التكافؤ
العددي بين المسلمين الذين يعدّون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا مقابل
ما يناهز الألف رجل من محاربي قريش وفرسانها إلا أن المسلمين
قد أثبتوا قدراتهم القتالية في المبارزات الأولية وعند الالتحام الكبير،
وقد تمخضت المعركة عن فوز ساحق للمسلمين وانسحاب قريش
تاركة وراءها سبعين قتيلًا وعديد الأسرى^(٦٢) وعقب هذا الانتصار
العسكري، تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع عديد القضايا
بحكمته المعهودة وحسنه الدبلوماسي ومن هذه القضايا قضية الأسرى
فلم يتعامل معهم بأسلوب ردود الفعل العنيفة والانتقامية بل أنه وهبهم
حريتهم لقاء مقابل تمثّل في أخذ المال من سادات قريش وأغنيائها
الذين أسلم الكثير منهم لاحقًا، أو تعليم عشرة من المسلمين القراءة
والكتابة لمن لا يستطيع الفدية وخصوصا من الفقراء وتسريح الباقي
دون فداء. أمّا معنويا فقد كان لنصر بدر أثره في رفع معنويات
المسلمين وتأكيد لحمة المجتمع داخليا وتركيز هيبتهم خارجيا، فقد
غلبوا وهم الفئة القليلة قريشا وهي الفئة العديدة العتيدة، خصوصا وقد
كانت الحرب آنذ المقياس الواقعي الوحيد لدى القبائل العربية لتقييم

قوة الدولة أو الجماعة واتخاذ موقف محدد منها، كما كان لهذا النصر تبعاته الداخلية، فقد أظهرت قبيلة بني قينقاع اليهودية غدرها ونقضها ميثاق المدينة بتحالفها مع قريش وتآمرها على الرسول صلى الله عليه وسلم وجماعته الشيء الذي أباح معاقبتها فوقع التخلص منها، وربما أراد الرسول بفعله هذا مع يهود بني قينقاع أن يخيف بقية اليهود في المدينة وأن يجعل فعله هذا نموذجا لكل من يغدر بالجماعة الإسلامية ويدبر لها المؤامرات^(٦٣).

بيد أن قريشا لم تقبل هذه الهزيمة بيد، خصوصا وأن الرسول عليه السلام وأصحابه أصبحوا يمثلون تهديدا مستمرا لتجارتهم وقوافلهم^(٦٤) فخرجوا في السنة الثالثة للهجرة لحرب المسلمين مرة ثانية، وقد كان سير معركة أحد لصالح المسلمين أول الأمر إلا أن مخالفة بعض المسلمين لأوامر النبي عليه السلام كان سببا لتغير مجريات الأمور وفقد زمام المبادرة ثم الهزيمة وقد قتل عدد كبير من المسلمين كما جرح النبي صلى الله عليه وسلم. ظنت قريش أنها قضت على دعوة الرسول، فانسحبوا من ميدان المعركة راجعين إلى بلادهم مسرورين. أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد شعر بدقة الموقف وخرج الظروف لا في المدينة فحسب بل كذلك أمام سائر القبائل ممن كانوا قد أذعنوا له وسلّموا بقوة دولته وشوخته بعد نصر بدر، إلا أنهم بدأوا في التفكير في معارضته ومناوءته، وقد حرص عليه السلام على جمع أخبار المدينة وما يجري حولها وكذلك أخبار القبائل العربية، لتقييم الموقف واتخاذ أي إجراء

مناسب على ضوئها في حالات الضرورة، قاصدا استعادة مكانة المسلمين وهيبتهم وسطوتهم في النفوس وإظهار ثبات الدولة الفتية رغم الهزيمة العسكرية على مبادئها ورسالتها^(٦٥).

٢- دبلوماسية الرسول خلال غزوة الخندق:

اجتمعت قريش وأحلافها من القبائل العربية للقضاء على المسلمين نهائيا وتدمير دولتهم وإزالة خطرهم، وقد لجأ الرسول للدفاع عن المدينة إلى أسلوب جديد أشار به أحد أصحابه وهو حفر الخندق حول المدينة من ناحية الشمال، ولما رأت قريش هذا الفن الجديد من فنون الحرب دهشت وقالت: "والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها"^(٦٦)، وبعد أن كانت ترجو حربا خاطفة لسحق المسلمين، وجدت أن كل الظروف لا تساعد على هذا بل على العكس تماما، ففضلاً عن الخندق الذي يفصلهم عن المدينة، كان الطقس آنذا شديد البرودة وفي غاية الاضطراب والتقلب حتى أن خيامهم لم تعد تحميهم من البرد والريح^(٦٧).

كانت هذه المهلة مناسبة للنبي عليه السلام لاستغلال تناقضات العدو و لدعم الالتحام الداخلي للمدينة فنشطت الجهود الدبلوماسية حيث أرسل سفيزيه سعد بن معاذ (ت ٥هـ/٦٢٧م) وسعد بن عباد (ت ٤هـ/٦٣٥م) إلى بني قريظة لتأكيد اتفائيتهم مع المسلمين لكنهم قالوا: "لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد"^(٦٨)، وظل الرسول يبتكر الوسائل لتشييط عزائم الكفار وإيجاد ثغرة في تحالفهم، فأرسل سفيزه إلى قبيلة غطفان من أحلاف قريش يساومها

على ثلث ثمار المدينة إن هي ارتحلت، وفي نفس الوقت ذهب نعيم بن مسعود (ت ٣٠هـ/٦٥٠م)^(٦٩) بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة، ولم يكن إسلامه معروفاً، وقد نجح في مهمته حيث ظهر الاضطراب في صفوفهم كما أن أحوال الطقس أوهنتهم، ففكّوا الحصار ورجعوا إلى مكة دون تحقيق غرضهم^(٧٠).

هذه الجهود الدبلوماسية الكبيرة التي أجراها الرسول عليه السلام في جوّ الحصار والحرب كانت كفيلة بتحقيق نصر سياسي هام على قريش وأحلافها، وهذا يدلّ على البراعة والخبرة الدبلوماسية فضلاً عن الحكمة الحربية التي كانت تتمتع بها هذه الدولة الفتية والتي أنقذتها من مخاطر جمّة، ولما تزل بعد في بدايتها الأولى، كما كان لهذا الحدث صداه الخارجي لدى القبائل فقد أثبتت دولة المدينة أنها ليست مطمعا لأحد بل أنها من القوى المعتبرة في جزيرة العرب التي لها مستقبل هام.

هكذا فاز المسلمون في غزوة الأحزاب دون اللجوء إلى الحرب بفضل دبلوماسية الرسول عليه السلام.

المطلب الثالث: صلح الحديبية:

رغم خروج الدولة الإسلامية منتصرة في جلّ الحروب التي حاضتها فإنها لم تخرج من المخاطر التي كانت تحيط بها من كل جانب، لذا عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تحريك الدبلوماسية بقوة لمواجهة هذا الوضع الدقيق الذي كان يسود جزيرة العرب.

وقد كان الوضع عموماً خطيراً جداً على المسلمين، إذ كانت خيبر مركز اليهود في الشمال المتحالفة مع قبائل فزارة وغطفان في الشمال الشرقي الذين تجمعهم مع قريش مصالح مشتركة وتحالفات سياسية، يقول السرخسي: "كان بين أهل مكة وأهل خيبر من المؤاخاة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى أحد الفريقين أغار الفريق الآخر على المدينة، فوادع أهل مكة حتى يأتهم جانبهم إذا توجه إلى خيبر" (٧١).

لذا يمكن اعتبار توقيت العمرة التي قرّر الرسول إتمامها في السنة السادسة للهجرة محكماً سياسياً، برفقة حوالي ألف وأربعمائة من المسلمين المحرمين العزل من السلاح، حيث نلاحظ أنها قد غلب عليها الدافع السياسي، فقد أراد إحداث ثغرة في هذا التحالف المحكم حول المدينة بين يهود وأحلافهم وقريش وقد اتجه انتباهه إلى مواطن الضعف في قريش بحكم صلة القرابة الرابطة بين أهل مكة والمسلمين، أيضاً لكون قريش الراعية للبيت الحرام، فقراره زيارة البيت الحرام كان بالأساس لفرض صياغة اتفاقاً ما مع قريش، وهذا ما وضع قريشاً أمام خيار دقيق أمام العرف الذي كان سائداً حينذاك وهو ضمان قريش أمن كلّ حاجّ أو زائر لبيت الله الحرام.

وقد أفرزت هذه الأحداث الصلح المعروف بصلح الحديبية، وقد حقق به الرسول صلى الله عليه وسلم الأهداف التي رسمها فضلاً عن كونه ينسجم مع سياسة الرسول تجاه أهل مكة وهي سياسة رفع الحواجز وإيجاد صلوات وعلاقات ما تؤدي تدريجياً إلى

قبولهم الدعوة الإسلامية بالطريق السلمية، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها) (٧٢).

ظهر ضعف قريش وهشاشة تحالفاتها مع قبائل العرب حيث لم يكن تضامنها إلا ستارا رقيقا يخفي خلفه تناقضات شتى في الرؤى، ويظهر هذا في قول الحليس (ت بعد ٦هـ/٦٢٨م) (٧٣) عندما منعت قريش المسلمين من أداء العمرة: "يامعشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظما له" (٧٤).

وقد أثبت المسلمون تضامنا كبيرا ووفاء لنيّهم عليه السلام وقد ظهر هذا لما شاع بينهم مقتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مفاوضا عنه قريشا، فتأهبوا للحرب وبايعوا النبي عليه السلام على ذلك وتسمى هذه البيعة بيعة الرضوان (٧٥)، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٧٦).

ولما سمعت قريش بهذا أرسلت وفدا على رأسه سهيل بن عمرو (ت ١٨هـ/٦٣٩م) لكي يفاوض النبي عليه السلام في عدول المسلمين عن دخول مكة هذا العام على أن يرجعوا العام المقبل، كما اتفقوا على وضع حدّ للحرب لمدة عشر سنوات، وقد وافق هذا خطة المسلمين في كسر المواطأة التي كانت بين أهل مكة وأهل خيبر وهي معروفة (٧٧).

وتمّ الاتفاق^(٧٨) الذي أظهر المسلمين كقوة سياسية كبرى في جزيرة العرب، وما يجدر ملاحظته أن كل الأحداث الدبلوماسية التي وقعت في هذا الصلح كانت حجر الأساس في تكوين القوانين الدبلوماسية الإسلامية، فعملية المفاوضات وتبادل السفراء والوصول إلى حلّ وسط وعقد الاتفاق كانت كلّها نموذجا متكاملا للدبلوماسية في الإسلام^(٧٩) ندرك من خلاله القدرة الدبلوماسية التي كانت لدى الرسول صلى الله عليه وسلم والتي بقيت قدوة لمن جاء بعده من الخلفاء.

كما إن من نتائج هذا الصلح تفرّغ المسلمين للدعوة للدين الجديد والتبشير به بين القبائل، وقد لقيت الدعوة نجاحا وانتشارا كبيرين وأقبلت العرب على الإسلام وتعاليمه السمحة، وهو في حدّ ذاته تدعيم متواصل للدولة واتساع في النفوذ وانتصار للتوحيد على الشرك، يقول الزهري (ت ١٢٤هـ/٧٤٢م)^(٨٠): "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام وهو يعقل شيئا إلاّ دخل فيه ولقد دخل تينك السنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر"^(٨١).

وقد اعتبر القرآن الكريم هذا الإنجاز الدبلوماسي المهم فتحا كبيرا، يقول تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٨٢﴾.

هكذا بفضل دبلوماسية الرسول توسّعت علاقات الدولة الإسلامية في داخل وخارج جزيرة العرب، وقد كانت الدولة الإسلامية تبحت عن أنصار يؤيدون الدين الجديد ويؤمنون به من بين العرب، وقد نجحت الدولة الإسلامية في الواجهتين معا نجاحا باهرا رغم المقاومة العنيفة من المشركين واليهود^(٨٢).

وخلاصة القول أن الدبلوماسية أدت دورا أكثر أهمية في تأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة والدفاع عنها وتوسع علاقاتها في داخل جزيرة العرب وخارجها بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا اعترف العالم بكيان المسلمين نتيجة الجهود الدبلوماسية الإسلامية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: البعثات الدبلوماسية في عصر الرسول ﷺ:

كان الفترة بين هدنة الحديبية وغزوة تبوك فترة شديدة الخطر وعظيمة الأثر في تكوين الدولة الإسلامية، فقد شهدت هذه الفترة تقدم النبي صلى الله عليه وسلم السريع نحو تحقيق هدف وحدة القبائل في شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، وعلى الرغم من أن السير نحو تحقيق الأهداف كان يغلب عليه إلى حد كبير النشاط التنظيمي والحربي، إلا أن أهمية العمل السياسي والدبلوماسي لم تكن قليلة، وكان الدافع لكل ذلك كسب المؤيدين والأنصار بكل الطرق السلمية، ففي هذه الفترة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سفراءه

إلى الملوك واستقبل كذلك البعثات الدبلوماسية الأجنبية في المدينة، وفي كثير من الحالات لاقت هذه البعثات التي أرسلت إلى داخل جزيرة العرب وخارجها نجاحا كبيرا عن طريق الإقناع بالحسنى ولم تكن بحاجة إلى اللجوء إلى العنف لتحقيق أهدافها^(٨٤) وسنستعرض تفاصيل هذه البعثات فيما يلي:

المطلب الأول: بعثات الرسول ﷺ الدبلوماسية إلى الملوك:

١ - أسباب البعثات:

لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل كان للعالم أجمع نصيب فيها، إذ أن الله أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ولكي تصل هذه الدعوة إلى جميع الناس وإلى جميع الشعوب^(٨٥) أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سفاراته إلى عظماء وملوك ذلك العصر^(٨٦).

وقد كانت سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم الخارجية في تلك الفترة تهدف إلى كسب الأصدقاء والمؤيدين وإقناعهم عن طريق الحسنى للدخول في الإسلام، ففي السنة السادسة للهجرة بعد رجوعه من الحديبية يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات غداة فقال لهم: (إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم) قالوا وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال (دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتناقل، فشكا ذلك

عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغه الأمة التي بعث إليها^(٨٧).

وكانت هذه البعثات مرسلة أساسا إلى ملوك البلدان الكبيرة، كما جاء في الرواية: "أن نبي الله كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم"^(٨٨).

والكتب التي حملها سفراء النبي عليه السلام^(٨٩) تدل دلالة أكثر وضوحا وأشدّ صراحة على ما تردّد ذكره في القرآن من دعوة الناس جميعا للإسلام كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٩٠)، وهو إعلان واضح بعالمية الرسالة الإسلامية وليس مقتصرًا على الجنس العربي فقط^(٩١).

٢- بعثة الرسول ﷺ إلى هرقل (٦هـ/٦١٠م - ٢١هـ/٦٤١م).

رغم الاختلاف في الروايات تقدّم لنا المصادر صورة واضحة عن هذه البعثة، فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة (ت نحو ٤٥هـ/٦٦٥م)^(٩٢) إلى قيصر داعيا إياه إلى الإسلام، وقد حمّله كتابا جاء فيه^(٩٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم،

سلام على من أتبع الهدى، أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (وكتب فيه) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى

كَلِمَةٍ سِوَاءِ بَيْنِنَا وَبَيْنِكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٩٤﴾.

نتائج البعثة إلى هرقل:

استقبل هرقل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم استقبالا حاراً،
وقبل كتابه وجعله بين فخذه وسأل رجلاً رومياً عن هذه الرسالة (٩٥)
وما حوتها، وكاد أن يصدّق بالإسلام ولكن بطانته لم توافق فقال
لدحية بن خليفة: "إني لأعرف أن صاحبك نبيّ مرسل ولكنني أخاف
على نفسي ولولا ذلك لاتبعته، فأذهب إلى ضغاطر الأعظم في الروم
واذكر له أمر صاحبك وانظر ما يقول لك" (٩٦).

فاخبر دحية ضغاطر الأعظم بما جاء به من رسول الله، فقال
له ضغاطر: "والله إن صاحبك نبيّ مرسل نعرفه بصفته ونجده في
كتابنا"، وذهب ضغاطر إلى أهل الروم في كنيسة وقال لهم يا معشر
الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله، وإني أشهد أن لا اله
إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لكنهم وثبوا عليه فقتلوه" (٩٧).
ومن المحتمل أن هرقل عرف عن بعثة الرسول قبل ورود هذه السفارة
إليه، حيث تشير الروايات على لقائه مع أبي سفيان (ت ٣١هـ/ ٦٥١م)
واستفساراته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩٨).

أهل الروم لم يقبلوا الإسلام ولكن هرقل تأثر من رسول الله
وكتب له رسالة إثر سفارته، وقال فيها: "إلى أحمد رسول الله الذي
بشّر به عيسى، من قيصر ملك الروم، أنه جاءني كتابك مع رسولك

وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيرا لهم، ولوددت أنني عندك فأخدمك واغسل قدميك" (٩٩). وقيل أنه بعث إليه بدنائير قسّمها الرسول صلى الله عليه وسلم (١٠٠).

٣- تبادل البعثات بين الرسول ﷺ وملك الحبشة:

العلاقات بين جزيرة العرب والحبشة قديمة ووثيقة، فقد كانت أرضها سوقا لقريش تتاجر فيها وتكسب في أمن وسلام كما كانت هناك صلات حميمة بين الحبشة والعرب، وهذا يفسر إلى حدّ ما سبب قرار الرسول الاتجاه إلى الحبشة في هجرة أصحابه الأولى هربا من اضطهاد المكّيين وبحثا عن ملجأ وحماية (١٠١).

سفارة الرسول الأولى إلى النجاشي:

يروى لنا أن سفارة الرسول الأولى ذهبت إلى النجاشي مع المهاجرين الأوائل إلى الحبشة، وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمّه جعفر بن أبي طالب (ت ٨هـ/٦٢٩م) الذي فاوض عنه عند النجاشي واشترك في النقاش عند حضور وفد قريش وأحسن الدفاع عن المسلمين وقد جاء في الرسالة حملها جعفر (١٠٢).

إلى ملك الأحباش:

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة:

"سَلِّمِ أَنْتِ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعَيْسَى، فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي، وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقْرَهُمْ وَدَعْ التَّجْبُرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصِحِي" (١٠٣).

إثر هذه الهجرة أوفدت قريش بعثاتها لكي يردّ النجاشي المسلمين من الحبشة، غير أنها انتهت بالفشل (١٠٤).

السفارة الثانية إلى النجاشي:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري (ت ٥٥٥هـ/٦٧٥م) (١٠٤) سفيراً في هذه البعثة، وقد حاولت قريش إقناع النجاشي مرة أخرى بإعطائها المسلمين اللاجئيين هناك، أو طردهم، فكان هدف بعثة الرسول إفشال مخطّط قريش ومسح تأثيرها على النجاشي، وفي هذه المرّة أيضاً فشلت سفارة قريش وأسلم عمرو بن العاص (ت ٤٣هـ/٦٦٤م) رئيس وفدّها على يد النجاشي (١٠٦).

نتيجة تبادل السفراء بين الرسول والنجاشي:

فرح النجاشي بسفارة النبي صلى الله عليه وسلم واستقبل سفيره استقبالا مهيبا، وقد أعلن بهذه المناسبة إسلامه وكتب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم:

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر

"سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقا، إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرّبنا ابن عمّك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدّقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك وأصحابه وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يانبيّ أرها بن الأصحم بن أبحر، فإنني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإنّي أشهد أن ما تقول حقّ والسلام عليك يا رسول الله" (١٠٧).

وهناك بعض الروايات التي تدلّ على وجود اتصالات أخرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم والنجاشي، منها أن النبي عليه السلام أرسل إلى النجاشي ليزوّجه حبيبة بنت أبي سفيان (ت ٤٤هـ/ ٦٦٤م) ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة من يخبرها بخطبة رسول الله لها ثم زوّجها منه، وقد دفع عنه المهر (١٠٨)، كما أصدر النجاشي أوامره لتجهيز المسلمين

ومنحهم سفينتين تلبية لطلب النبي عليه السلام الذي أوفد لهذا الغرض سفيره عمرو بن أمية^(١٠٩).

٤ - بعثة الرسول عليه السلام إلى كسرى:

يروى البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي (ت نحو ٣٣هـ/ ٦٥٣م)^(١١٠)، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَنْ يَمْزُقُوا كُلَّ مَمْزُوقٍ)^(١١١).

كتب رسول الله في رسالته إلى كسرى ما يلي:

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس،

"سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني رسول الله إلى كافة الناس لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك"^(١١٢).

وهناك نص آخر لهذه الرسالة^(١١٣)، جاء فيه:

"من محمد رسول الله إلى كسرى:

أما بعد ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾^(١١٤).

ردّ فعل كسرى:

كتب كسرى إلى باذان، حاكمه على حمير ليرسل إليه رأس هذا المدّعي في زعمه، واستجابةً لأمر ملكه أرسل باذان مبعوثين من جانبه إلى المدينة، وعندما وصلا إلى المدينة أخبرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كسرى قد اغتاله ابنه، وهذا الخبر يكثر الرواة الأوائل من ذكره والاستشهاد به كمثال على كشف الله سبحانه الغيب أمام رسوله عليه السلام، وهذا ما أدّى إلى إسلام باذان وكافة أبنائه باليمن^(١١٥).

٥- بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس:

بعث الرسول عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة اللخمي (ت ٣٠هـ / ٦٥٠م)^(١١٦) إلى المقوقس^(١١٧) يدعو إلى الإسلام وجاء في كتاب النبي عليه السلام:

من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط:

"سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فعليك إثم القبط^(١١٨) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾"^(١١٩).

نتيجة سفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس:

أخذ المقوقس كتاب النبي عليه السلام وضمّه إلى صدره وقال هذا زمان النبي الذي نجد نعتة في كتاب الله وختم كتاب

الرسول ودفعه إلى جاريته^(١٢٠)، ثم كتب جوابا إلى رسول الله، جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أمّا بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط العظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها"^(١٢١).

أكرم المقوقس سفير الرسول حاطب بن أبي بلتعة وأحسن نزله، يقول حاطب: "كان لي مكرما في الضيافة وقلة اللبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام إلا أنه لم يسلم"^(١٢٢).

٦- بعثة الرسول ﷺ إلى الحارث الغساني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣م).

بعث الرسول عليه السلام شجاع بن وهب الأسدي (ت ١٢٢هـ/ ٦٣٣م)^(١٢٤) وهو أحد الستة، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا جاء فيه:

من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر:
"سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، فإنني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك"^(١٢٥).

نتيجة هذه السفارة:

كان ردّ فعل الحارث عدم الموافقة والامتناع، ويروى أنه أمر قواته بالاحتشاد والزحف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن هرقلا تدخل ودعاه إلى بيت المقدس^(١٢٦).

٧- بعثة الرسول ﷺ إلى هوزة (ت ١٤٩هـ/٦٣٠م) (١٢٧):

بعث رسول الله سليط بن عمرو العامري (ت ١٤٩هـ/٦٣٥م) (١٢٨) إلى هوزة بن علي، وكتب إليه كتابا، فقدم عليه فأنزله وحباه وقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وردّ ردّا دون ردّ، وكتب جوابا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "ما أحسن ما تدعو إليه وما أجمله" (١٢٩).

بعثة الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى (ت ١١١هـ/٦٣٣م) (١٣٠):

هو من بني تميم بالبحرين، وقد بعث إليه الرسول عليه السلام سفيره العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة، فأسلم وكان إسلامه حسنا (١٣١).

٨- بعثات الرسول ﷺ الأخرى:

وتروي لنا المصادر بعض بعثات النبي صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية إلى الملوك والزعماء في عديد المناطق بالجزيرة العربية، منها: سفارة الرسول إلى الأيهم بن النعمان الغساني (١٣٢)، كما أوفد النبي عليه السلام المهاجر بن أبي أمية (ت بعد ١٢هـ/٦٣٣م) (١٣٣) إلى ملوك حمير، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندري (١٣٤)، إلى غير ذلك.

المطلب الثاني: البعثات الواردة إلى النبي ﷺ في المدينة:

بعد فتح مكة اجتمعت قبائل العرب تحت لواء النبي عليه السلام، ولم يبق في جزيرة العرب من يشكّل تهديدا للدعوة

والدولة الإسلامية، لذا كانت الأنظار متّجهة إلى خارج الجزيرة وأصبح نشر الإسلام إلى كافة الناس أمراً لا مفرّ منه^(١٣٥)، يعلق ابن إسحاق (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) على هذه الأحوال قائلاً: "إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحيّ من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشا كانت أمام الناس وهاديهم وأهل بيت الله الحرام وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفته، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودخلوا الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته، فدخلوا في دين الله"^(١٣٦) كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١٣٧).

وهنا فهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمته السياسية نظام القبائل وما يجري داخلها من نزاعات محلية، إذ كانت القبائل مستقلة ولم تكن تخضع لأيّ حكومة إلا أن تدخل في أحلاف مؤقتة مع قبائل أخرى، وشعر الرسول صلى الله عليه وسلم بأهمية هذه الأحلاف وبدأ باستقبال البعثات من هذه القبائل المكوّنة في شكل وفود، وقد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم أغلب الوفود والبعثات سنة تسع من الهجرة ولذا تسمى هذه السنة سنة الوفود^(١٣٨).

أحيانا كانت هذه الوفود تتكوّن من كل الفئات الموجودة داخل القبيلة كما كان وفد بني سعد، وأحيانا كان الوفد يمثّل فئة واحدة من فئات القبيلة. ويلقي أسلوب استقبال هذه الوفود الضوء على نوعية الحصانات التي يتمتعون بها في الدولة الإسلامية، كما تبين الحضوة التي يلقونها من لدن قيادة هذه الدولة، فقد كان الرسول عليه السلام متواضعا، معهم، منشغلا بمشاغلهم وهمومهم، يتبادل معهم الحديث في السياسات المحليّة لكل قبيلة ووفد، كما تختصّ الوفود بتوفير الراحة لها حيث خصّصت لها مراسم لاستقبالها وبيوت لإقامتها هي بيوت الضيافة، كما تباح لهم ممارسة عباداتهم، وقد أدّى وفد نجران صلواتهم في المسجد النبوي (١٣٩).

قائمة هذه الوفود طويلة جدًا وتوجد تفاصيلها في المصادر التاريخية^(١٤٠)، وقد لاقت هذه البعثات نجاحا كبيرا وقد رسّخ الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوبهم جذور الإسلام، كما يعلق أرنولد (ت ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م) على هذه البعثات قائلا: "إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود هذه العشائر المختلفة من النبي صلى الله عليه وسلم واهتمامه بشكاياتهم والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم والسياسة التي أوحى إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر بالوقوف في جانب الإسلام، وإظهار العطف للمسلمين، كلّ ذلك جعل اسمه مألوفاً لديهم، كما ذاع صيته في كافة أنحاء شبه الجزيرة، سيّدا عظيما ورجلا كريما"^(١٤١).

والخلاصة أن جوانب الدبلوماسية في شخصيّة الرسول تركت أثرا كبيرا في النفوس وبدا نجاحه في مكة واستقرت في المدينة وصبر الرسول صلى الله عليه وسلم على كل المشاكل والصعوبات. وهكذا واصلت دبلوماسيته انجازاتها الكبيرة التي ليس لها مثيل، لذا لا يمكن إنكار الدبلوماسية في الإنجازات التي حققتها الدولة الإسلامية منذ تأسيسها، ودخلت دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة جديدة بعد فتح مكة، وقد تجلت في البعثات الدبلوماسية التي لاقت نجاحا بارزا في عرض دعوة النبي عليه السلام على الملوك والرؤساء، وفي تذليل الصعاب أمامها في كل المراحل. فاتضحت ملامح الدبلوماسية الإسلامية وتدعمت أسسها ووضع نظام السفارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، الدبلوماسي الأول في الإسلام.

خاتمة:

- بعد تقديم تفاصيل حول الدبلوماسية في سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكننا أن نصل إلى النتائج التالية:
- ١- استعمل المسلمون كلمة السفير والرسول بنفس المعنى لأداء مهمّات السفارة، والسفارة هي عملية صلح بين الناس بالحوار كما أن الدبلوماسية هي معالجة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، فالسفارة والدبلوماسية إذن لفظان يستعملان بمعنى واحد.
 - ٢- إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين وهو مؤسس الدبلوماسية في الإسلام.

٣- أدت الدبلوماسية دورا كبيرا في نجاحات الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية فاعترف بفضلها بكيان المسلمين وكان استخدامها يسبق دائما قرار الحرب كما لاقت بعثاته الدبلوماسية نجاحات كبيرة.

هكذا نرى أن هذا البحث يجيب عن دور الدبلوماسية في سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أن الدبلوماسية كانت أداة فعالة استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في معالجة الأمور وأنها أدت دورا أكثر أهمية من الحروب في نجاحات الرسول صلى الله عليه وسلم.

هوامش

- ١- انظر: The Oxford Dictionary, (Oxford University Press, London 1986), p234؛ أبو هيف (علي صادق)، القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ١٩، عدنان البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٨.
- ٢- انظر:
The New Encyclopaedia Britannica, (Chicago, USA 1965): 17/331.
Elwer Plischke, "Modern Diplomacy", (Washington D. C, 1979), p 25.
Satow Ernest, "A Guide to Diplomatic Practice", 4th. ed, (london 1951), p 2.
- ٣- محسن عبد الخالق، الدبلوماسية، التعريف والمعاني، مجلة الدبلوماسية، العدد ١٠، ١٩٨٨م، معهد الدراسات الدبلوماسية، المملكة العربية السعودية، ص ٣٦.
- ٤- محسن عبد الخالق، م . ن، ص ٣٦.

- ٥- هو سير أرنست ساتو Sir Ernest Satow الدبلوماسي البريطاني الكبير، ألف كتابا كثيرة عن الدبلوماسية، أدى عدة مهام دبلوماسية، ويعتبر من زعماء الدبلوماسية المعاصرة، انظر:
- Otte Thomas, "A Guide to Diplomacy, The Writting of Sir Ernest Satow", (leicester, 1996), p 3 - 10.
- ٦- "A Guide to Diplomatic Practice", p 2.
- ٧- Encycloepadia Britanica: 17/331.
- ٨- الزبيدي (محمد مرتضى)، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٦٦م، فصل السين، من باب الراء: ٢٧١/٣.
- ٩- النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩/٣.
- ١٠- الزبيدي، م. ن: ٢٧١/٣.
- ١١- سورة الجمعة، الآية: ٥.
- ١٢- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، بيروت، ١٩٨٨م، ١٥٥/٣.
- ١٣- ابن منظور، م. ن: ١٥٥/٣.
- ١٤- Bernard Lewis, "The Political Language of Islam", (Chicago, USA, 1988), p76.
- ١٥- ابن عبد البر، الاستيعاب، باب عمر بن الخطاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١١٤٥/٣.
- ١٦- حسن محمد سفر، السفارات في النظام الإسلامي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد التاسع ١٩٩١م، ص ١١٧.
- ١٧- حسن فتح الباب، السفارات الإسلامية في الإسلام، مجلة المنار، العدد السابع، رجب ١٤١١هـ/ يناير ١٩٩١م، ص ١٩.
- ١٨- ابن منظور، م. ن: ١٥٥/٣.
- ١٩- The Oxford Reference Dictionary, p232; Encycloepadia Americana: 9/141.
- ٢٠- ابن منظور، م. ن: ١٥٥/٣.
- ٢١- انظر: Oxford Dictionary, p 150.
- ٢٢- الدعيج (مشعان محمد)، فصول في الدبلوماسية، ط ١، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٩.

- ٢٣- R. Redslob, "Histoires des Principes du Droit des Gens", (Paris 1923), p 79.
- ٢٤- حسن - فتح الباب، م. ن ، ص ١٩-٢٠.
- ٢٥- سورة الروم، الآية: ٤٧.
- ٢٦- سورة سبأ، الآية: ٢٨.
- ٢٧- سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
- ٢٨- سورة النحل، الآية: ١٢٥.
- ٢٩- عزّام (عبد الرحمان)، الرسالة الخالدة، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤م، ص ٥٢.
- ٣٠- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦م، ٢٥٧/١.
- ٣١- ابن هشام (محمد عبد الملك)، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، ١٦٨/١.
- ٣٢- ابن هشام، م. ن: ١٨٢/١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ٥٢/١.
- ٣٣- انظر: Siddiqui (Abdul Hameed), "The Life of Muhammad" Lahore, Pakistan 1980, p 58.
- ٣٤- انظر: ابن هشام، م. ن: ٢١٦/١.
- ٣٥- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤-٢١٦.
- ٣٦- وهذا أسلوب دبلوماسي معروف في عصرنا الحاضر، حيث يتقابل المفاوضون على طاولة الطعام قبل المفاوضات، وقد جاء في تعليمات نابوليون الثالث إلى سفيره في لندن عام ١٨٠٢م "ولا تنس بصفة خاصة أن تقيم مآدب ممتازة".
- انظر: Fred Charle Ikle, "How Nations Negotiate", (New York, London, 1987), p159.
- ٣٧- الطبري (أبو جعفر محمد بن حرير)، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ٢١٧/٢، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد، الكامل، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ٦٣/٢.
- ٣٨- أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قريشا قبيلة قبيلة حتى مرّ على آخرهم. انظر مسلم (بن الحجاج)، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٣م،

- كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ر ٣٤٨:
١٩٢/١، الطبري، م. ن: ٢١٨/٢.
- ٣٩- البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع الصحيح، دار ابن كثير واليامة للطباعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ر ٤٤٩٢، ٤/١٧٨٧، مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ر ٣٥٥، ١/١٩٣-١٩٤.
- ٤٠- Fred Charles Ikle, Ibid, p. 253- 255.
- ٤١- ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٠/٣.
- ٤٢- سورة المائدة، الآية: ٦٧.
- ٤٣- سموحي فوق العادة، الدبلوماسية والبروتوكول، دمشق، ١٩٦٠م، ص ١٥.
- ٤٤- ابن هشام، م. ن، ١/٢٤٠، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/٩٩.
- ٤٥- ابن هشام، م. ن، ١/٢٤٠، الطبري، م. ن، ٢/٢٢٠، ابن الأثير، الكامل، ٢/٦٤، ابن سيد الناس، م. ن، ١/١٠٠.
- ٤٦- Nicolson Harold, "Diplomacy", III Edition, (London 1969), p. 50.
- ٤٧- هيكل (محمد حسين)، حياة محمد، مطبعة مصر، ١٩٤٧م، ص ١٤١.
- ٤٨- ابن هشام، م. ن، ١/٢٥٨.
- ٤٩- Afzal, Iqbal, "Diplomacy in Early Islam", (Lahore-Pakistan 1988) p. 29.
- ٥٠- ابن هشام، م. ن، ١/٢٦١، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٠٥، ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ١/٥٠٤.
- ٥١- انظر التفاصيل، البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، ر ٣٦٣٩، ٣/١٣٩٨.
- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، ر ١٧١٤، ٣/١٤١٨.
- ٥٢- وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء، انظر ابن هشام، م. ن، ٢/٥٤-٥٥، الطبري، م. ن، ٢/٣٥٤، عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، القاهرة، ١٩٧١م، ١/١٠٨.

- ٥٣- البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة، ر. ٣٦٧٠، ٣/١٤١٣.
- ٥٤- ابن هشام، م. ن، ٧٢/٢.
- ٥٥- انظر التفاصيل، البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ٣/١٤١٥-١٤٢٨، ابن هشام، م. ن، ١١٤/١، **الطبري**، م. ن، ٢٥٤/١.
- ٥٦- Gibb, HA. R. "Muhammadism", (Oxford 1948), p. 27.
- ٥٧- جلال شرف محمد، **نشأة الفكر السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٣.
- ٥٨- عون شريف قاسم، **نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤١.
- ٥٩- يشتمل هذا الدستور على اثنين وخمسين فصلا، روى ابن هشام وأبو عبيد الوثيقة التي تعدّ نفسية للغاية ومثال للغة القانونية، انظر: ابن هشام، م. ن، ١٠٦-١٠٨، أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨١م، ص ٦١، حميد الله محمد، **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤١م، ص ١-٧.
- Hamidullah Muhammad, "The First Written Constitution" (Lahore, 1968 II Edition), p. 16 - 19.
- ٦٠- انظر: Afzal, Iqbal, "Diplomacy in Early Islam", p. 41- 44.
- ٦١- حميد الله، **رسول الله كى سياسى زندكى** (كتاب باللغة الأردية)، كراتشي، ١٩٨٤م، ص ١٢٠.
- ٦٢- انظر التفاصيل، ابن هشام، م. ن، ٢٥٧/٢، **الطبري**، م. ن، ٢٥٩/٢، ابن كثير، **السيرة**، ٤٦٣/٢.
- ٦٣- انظر: ابن هشام، م. ن، ٦/٣، عبد المنعم ماجد، **التاريخ السياسي للدولة العربية**، ١١٤/١.
- ٦٤- انظر: الواقدي (محمد بن عمر)، **المغازي**، تحقيق مارسون جونس، بيروت، ١٩٦٥م، ١٨١/١-١٩٦.

- ٦٥- انظر: ابن هشام، م. ن، ٣/١٨-٣١، الطبري، م. ن، ٢/٥٠٤-٥١٧.
- ٦٦- ابن هشام، م. ن، ٣/١٣٤.
- ٦٧- هيكل، م. ن، ص ٣٣٢، عبد المنعم، م. ن، ١/١١٩.
- ٦٨- ابن هشام، م. ن، ٣/١٣٢، الطبري، م. ن، ٢/٥٧١.
- ٦٩- هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًا يوم الخندق، فأسلم وكتّم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، انظر ابن هشام، م. ن، ٣/١٣٧، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/٥٠٨.
- ٧٠- عبد المنعم، م. ن، ١/١١٩.
- ٧١- السرخسي (شمس الدين محمد بن أحمد)، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، ١٩٥٨م، ١/٢٠١.
- ٧٢- البخاري، الصحيح، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد، ر ٢٥٨١، ٢٥٨٢، ٢/٩٧٧، مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ر ١٧٨٤، ٣/١٤٤١١.
- ٧٣- هو الحليس بن علقمة الحارثي، من بني حارثة بن عبد مناف من كنانة، سيد الأحابيش ورئيسهم يوم أحد، كان من مشركي قريش والأحابيش، ليس هناك ما يدل على إسلامه، انظر: الطبري، م. ن، ٣/٧١، السهيلي (عبدالرحمن)، الروض الأنف، تحقيق عبد الوكيل، دار الكتب الحديثة، ١٩٨٦م، ٢/١٤٠.
- ٧٤- ابن هشام، م. ن، ٣/٢٠٠، الطبري، م. ن، ٢/٦٢٨.
- ٧٥- ابن هشام، م. ن، ٣/٢٠٢، الطبري، م. ن، ٢/٦٢٣.
- ٧٦- سورة الفتح، الآية: ١٨.
- ٧٧- السرخسي، المبسوط، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٤هـ، ١٠/٨٦.
- ٧٨- انظر: ابن هشام، م. ن، ٣/٢٠٢، الطبري، م. ن، ٢/٦٣٤، ابن كثير، السيرة: ٣/٣٣٣.
- ٧٩- Afzal, Iqbal, "Diplomacy in Early Islam", p. 59.

- ٨٠- هو محمد بن مسلم بن عبيد الله إمام العلم وحافظ زمانه، القرشي الزهري المدني، نزل الشام وروى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله، انظر: ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٧٧/٤.
- ٨١- ابن هشام، م. ن، ٢٠٦/٣.
- ٨٢- سورة الفتح، الآية: ١-٢.
- ٨٣- العمراني (عبدالحى)، **حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم**، مطبعة النهضة، فاس، المغرب، ص ٩٠.
- ٨٤- عون شريف قاسم، **نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، ص ٧٣.
- Abdul Nayeem Muhammad, "External Relations of The Islamic State During The Era of The Prophet Muhammad", (King Saud University Press 1989): 1/38.
- Kadduri & Herbert, "Law in Middle East", (Washington 1955), p. 370. ٨٥-
- ٨٦- في ذلك الوقت كانت العرب تسمى قيصر من ملك الشام مع الجزيرة من الروم وكسرى من ملك الفرس والنجاشي من ملك الحبشة والمقوقس من ملك الإسكندرية فبعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم سفارته، انظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ٥١٣/٤.
- ٨٧- ابن هشام، م. ن، ١٨٧/٤، **الطبري**، م. ن، ٨٤/٣، ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٢٧/٨-١٢٨.
- ٨٨- انظر: مسلم، **الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ر ١٧٧٤، ١٣٩٣/٣.
- ٨٩- اختلفت الروايات في تعداد السفراء، يروي ابن هشام أسماء ثمانية أصحاب ويؤكد السهيلي، (ابن هشام، م. ن، ١٨٨/٤، **السهيلي**، م. ن، ٤٦٥/٧)، ويروي ابن سعد والطبري أن في يوم واحد خرج ستة سفراء، انظر: ابن سعد (محمد بن سعد)، **الطبقات الكبرى**، بيروت، ١٩٥٨، م، ٢٥٨/١، **الطبري**، م. ن، ٨٤/٣، وقد يكون هذا الاختلاف بسبب انطلاق قسم من السفراء في

- يوم واحد، وانطلاق البقية في يوم آخر، انظر: الزرقاني (محمد بن عبد الباقي)،
شرح المواهب اللدنية، بيروت، ١٩٧٣م، ٣/٣٦٧-٣٦٨.
- ٩٠- سورة السبأ، الآية: ٢٨. انظر: ابن كثير، التفسير، ١/١٠٤.
- ٩١- أرنولد ت. و، الدعوة إلى الإسلام، (ترجمة حسن إبراهيم وزملاؤه، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣٥.
- ٩٢- هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، أسلم قديما ولم يشهد بدرا، شهد المشاهد مع رسول الله بعد بدر، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، شهد اليرموك، عاش إلى خلافة معاوية، انظر: ابن سعد، م. ن، ٤/٢٤٩، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٤٤١، المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي)، إمتاع الأسماع، قطر، ٣٠٨/١.
- ٩٣- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، ١٧٧٣، ٦/١٣٩، وانظر: الطبري، م. ن، ٣/٨٧، ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/٥٠١، أبو عبيد، الأموال، ص ١٨.
- ٩٤- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
- ٩٥- ابن سعد، م. ن، ١/٢٥٩، الطبري، م. ن، ٣/٨٧، ابن الأثير، الكامل، ٢/٢١١، المقرئزي، إمتاع الأسماع، ٣٠٨/١.
- ٩٦- الطبري، م. ن، ٣/٨٨، ابن الأثير، م. ن، ٢/٢١١.
- ٩٧- الطبري، م. ن، ٣/٨٨، ابن الأثير، م. ن، ٢/٢١١.
- ٩٨- انظر: مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد، باب كتب النبي عليه السلام إلى هرقل، ر ١٧٧٣، ٣/١٣٩٣-١٣٩٤.
- ٩٩- اليعقوبي (أحمد بن أبي أيوب)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، ١٩٧٠م، ٢/٨٧.
- ١٠٠- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م، ١/١٢١.
- ١٠١- انظر: ابن هشام، م. ن، ١/٢٧٠، الطبري، م. ن، ٢/٣٢٨.
- ١٠٢- تعتبر هذه السفارة في السنة الخامسة من البعثة، وقد اكتشف المستشرق دنلوب هذه الرسالة في السنة ١٩٣٨م في دمشق، وقد أدى امتحان الخبراء بالمتحف البريطاني، لكنها لم تثبت أمام البحث ومقارنتها بالمخطوطة الأصلية.

- انظر: حميد الله ، رسول الله صلى الله عليه وسلم كى سياسي زندكى ، ص ١٢ ، عون الشريف ، م . ن ، ص ٩٥ .
- ١٠٣- انظر: الطبري ، م . ن ، ٧٩/٣ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، ٦٨٩/٣ .
- ١٠٤- انظر: ابن هشام ، م . ن ، ٢٩٠/١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٦/٣-٧٤ ، (وهناك حول تاريخ هذه السفارة ، حيث تدل رواية ابن إسحاق على أن ذلك حدث بعد هجرة المسلمين بقليل إلى الحبشة في العام الخامس للبعثة (ابن هشام: ٢٩٠/١) ، وتجعلها رواية أخرى متأخرة بعد موقعة بدر (المقريزي ، إمتاع الأسماع: ٣٠٩/١) ، ويمكننا ترجيح الرواية الأولى لتناسبها أكثر مع الواقع).
- ١٠٥- هو عمرو بن أمية الضمري ، صحابي مشهور ، عرف بالشجاعة والإقدام ، مات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه ، انظر: ابن عبد البر ، م . ن ، ١١٦٢/٣ .
- ١٠٦- الطبري ، م . ن ، ١٠٣/٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢٣١/٢ .
- ١٠٧- الطبري ، م . ن ، ٨٩/٣ ، حميد الله ، الوثائق ، ر ٢٣ وعون الشريف ، نشأة الدولة الإسلامية ، ص ٣٠٢ .
- ١٠٨- انظر: الطبري ، م . ن ، ٨٩/٣ .
- ١٠٩- ابن سعد ، م . ن ، ٢٥٨/١-٢٥٩ .
- ١١٠- هو عبدالله بن حذافة السهمي ، صحابي جليل قديم في الإسلام ، لم يشهد بدرا كان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية ، شهد فتح مصر ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه ، انظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٥٧/١ .
- ١١١- البخاري ، الصحيح ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر ، ر ٤١٦٢ ، ١٦١٠/٤ .
- ١١٢- اليعقوبي ، التاريخ ، ٤٩/٢ ، الطبري ، م . ن ، ٩٠/٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢١٣/٢ ، ابن كثير ، السيرة ، ٥٠٧/٤ .
- ١١٣- أبو عبيد ، كتاب الأموال ، ص ١٧ ، عون الشريف ، نشأة الدولة الإسلامية ، ص ١٠٩ .

يوجد اختلاف حول هذه الوثيقة لأنها الآية التي خطبها موجه لأهل الكتاب، وشهادة الزهري بأمر النبي عليه السلام بكتابة كتب واحدة للملوك يشتمل كلها على هذه الآية يمكن اعتمادها وقبولها، لكن الآية تشمل أيضا المحوس الذين لا كتاب لهم فهذا لم يقبله الزرقاني لذا حاول تصحيح عبارة الزهري لتصبح الكتب المرسلة إلى النجاشي وهرقل والمقوقس وهي وحدها التي تضم الآية، وبذلك يستثنى كتاب المرسل إلى كسرى، انظر الزرقاني، المواهب اللدنية، ٣/٣٤٦.

- ١١٤- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
- ١١٥- ابن سعد، م. ن، ١/٢٦٠، الطبري، م. ن، ٣/٩١، ابن الأثير، الكامل، ٢/٢١٣-٢١٤.
- ١١٦- هو حاطب بن أبي بلتعة اللحمي، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أشد رماة الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، انظر: ابن سعد، م. ن، ٣/١١٤.
- ١١٧- هو حريج بن مينا القبطي حاكم الإسكندرية، انظر: ابن كثير، السيرة، ٣/٥١٩.
- ١١٨- القسطلاني من شرح الزرقاني للمواهب اللدنية، ٣/٣٤٧، حميد الله، الوثائق، ر ٤٩، ص ٤٩.
- ١١٩- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
- ١٢٠- انظر: ابن سعد، م. ن، ١/٢٦٠، الزرقاني، م. ن، ٣/٣٤٩.
- ١٢١- الزرقاني، المواهب اللدنية، ٣/٣٤٩، القلقشندي (أبو العباس محمد بن علي)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة)، ٦/٤٦٧، المقرئ، إمتاع الأسماع، ١/٣٠٨، حميد الله، م. ن، ر ٥٠، عون الشريف، م. ن، ص ٣٠٥.
- ١٢٢- ابن سعد، م. ن، ١/٢٦٠، الطبري، م. ن، ٣/٩١، ابن كثير، السيرة، ٣/٥١٤، ابن القيم، زاد المعاد، ١/١٢٢.
- ١٢٣- هو الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق موال للبيزنطيين، انظر: ابن سعد، م. ن، ١/٢٦١، الزرقاني، م. ن، ٣/٣٥٦.

١٢٤- هو شجاع بن وهب الأسدي من السابقين الأولين، كان من المهاجرين إلى الحبشة، شهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة للهجرة وهو ابن بضع وأربعين سنة.

انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٧٠٧/٢.

١٢٥- انظر: ابن سعد، م. ن، ٢٦١/١، اليعقوبي، م. ن، ٧٨/٢، ابن الأثير، الكامل، ٢١٣/٢، ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار، الكويت، ١٩٧٩م، ١٢٢/١، حميد الله، الوثائق، رقم ٣٧، ص ٤٢.

١٢٦- انظر: ابن سعد، م. ن، ٢٦١/١، الطبري، م. ن، ٨٤/٣، الزرقاني، م. ن، ٣٥٧/٣.

١٢٧- هو هودبة بن علي الحنفي ملك اليمامة، زار كسرى فسقاه بكأس من ذهب وأعطاه إياه، وكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ، سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد يغزو ويصيب من المغازي وكان له عشرة ولد كان نصرانيا، وأرسل وفدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب من النبي عليه السلام أن يجعل الأمر له من بعده فرفض النبي طلبه هذا، مات بعد هذه الحادثة بقليل. انظر: البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى)، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م، ص ٨٦، اليعقوبي، التاريخ، ٨٤/٢.

١٢٨- هو سليط بن عمرو العامري صحابي شهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما أسلم كان يكسر أصنام بني عدي بن النجار، قتل شهيدا، انظر: ابن عبد البر، م. ن، ٦٤٥/٢.

١٢٩- ابن سعد، م. ن، ٢٦٢-٢٦٣، اليعقوبي، م. ن، ٧٨/٢، ابن القيم، زاد المعاد، ١٢٢/٢.

١٣٠- هو المنذر بن ساوي بن الأخنس من عبد القيس، كان والي البحرين ودفع له اليهود فيها الجزية، انظر: البلاذري، م. ن، ص ١٠٦-١١٠.

١٣١- انظر: ابن هشام، م. ن، ١٦٤/٤، السهيلي، م. ن، ٣٩٩/٧.

- ١٣٢- هو الأيهم بن جبلة بن الحارث الغساني أحد ملوك الشام في الجاهلية كان في حوزته بلاد تدمر وما يليها من بلاد الشمال في سورية، استقام له الأمر فيها ٢٧ سنة وشهرين. انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٧١م، ٢/ق ٢٨١/١.
- ١٣٣- هو المهاجر بن أبي أمية سهيل بن المغيرة، صحابي من القادة، شهد بدرًا مع المشركين، كان اسمه الوليد في الجاهلية فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر، استعمله علي كندة. انظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٠١/٢.
- ١٣٤- هو جيفر بن الجندري، كان رئيس قومه هو وأخوه عبد بن الجندري، أسلما على يد عمرو بن العاص، ولم يقدموا على النبي ولم يرياه وكان إسلامهما بعد خيبر، انظر: ابن عبد البر، م. ن، ٢٧٥/١، ابن الأثير، الكامل، ١٨٥/٢.
- ١٣٥- Afzal, Iqbal, "Diplomacy in Early Islam", p. 81.
- ١٣٦- ابن هشام، م. ن، ١٥٢/٤، وانظر: ابن الأثير، الكامل، ٢٨٦/٢، السهيلي، م. ن، ٣٥٧/٧.
- ١٣٧- سورة النصر، الآية: ١-٣.
- ١٣٨- ابن هشام، م. ن، ١٧٣/٤، المقرئ، إمتاع الأسماع، ٤٩٥/١.
- ١٣٩- انظر: ابن سعد، م. ن، ٣٥٨/١، ابن الأثير، الكامل، ٢٩٣/٢.
- ١٤٠- انظر: البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، الأرقام التالية: ١٤٠٧، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٤، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٣١، ١٥٨٧/٤-١٥٩٦، انظر أيضا: ابن هشام، م. ن، ١٥٢/٤-١٨٧؛ ابن سعد، م. ن، ٢٩٣/٢، الطبري، م. ن، ١٣٩/٣-١٧٤، السهيلي، م. ن، ٧/٣٥٧-٤٥٦، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٥٩٧/٣، المقرئ، إمتاع الأسماع، ٤٩٥/١، ٥٠٥.
- ١٤١- أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٩.

